

مقاربة مفاهيمية للفلسفة الايكولوجية

*A conceptual approach to eco-philosophy*دليلة نصلي بكير¹،¹ جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم (الجزائر)، naslibakirdalila@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/05/05

تاريخ القبول: 2022/02/12

تاريخ الاستلام: 2021/08/06

ملخص:

تعتبر فلسفة البيئة فرع من فروع الفلسفة الذي يهدف إلى دراسة البيئة الطبيعية والمكان وعلاقته بالإنسان وهي تشكل كذلك الأخلاقيات وكذا علم الجمال البيئي والايكولوجية وغيرها. وتهتم بدراسة الظواهر الطبيعية برؤية فلسفية ذلك بهدف معرفة مخاطر الطبيعة ورصدها ومحاولة حلها. ولعل الفلسفة الايكولوجية احدى فروع فلسفة البيئة وقد صاغ المصطلح الفيلسوف والمحلل النفسي الفرنسي فيليكس غوتاري. فماهي الفلسفة الايكولوجية؟ وما أهميتها؟ وما هو الجديد الذي اضافته هذه الفلسفة للبيئة؟

كلمات مفتاحية: الانسان، فلسفة البيئة، الأزمات الايكولوجية، النشاط البشري.

Abstract:

Environmental philosophy is a branch of philosophy that aims to study the natural environment, place and its relationship to man. It also constitutes ethics, as well as environmental and ecological aesthetics, among others. It is concerned with the study of natural phenomena with a philosophical vision, with the aim of knowing the dangers of nature, monitoring them and trying to solve them. Perhaps ecological philosophy is one of the branches of environmental philosophy, and the term was coined by the French philosopher and psychoanalyst Felix Guattari. What is an ecological philosophy? And what is its importance? What is new that this philosophy added to the environment?

Keywords: Man, Environmental Philosophy, Ecological Crises, Human Activity.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد خاض العالم المتقدم ثورة تكنولوجية أسفرت عن استنزاف مهول لموارد البيئية والتي بلغت ذروتها في النصف الثاني من القرن الماضي، أدت الى عدم توازن في النظم البيئية، واتجهت أنظار المفكرين والفلاسفة الى العناية بالعالم بمختلف مكوناته. مما أفضى الى ترسيخ انسية مغايرة في تمجيد الحياة البشرية والتمركز حول مقوماتها ومطالبها وانشغالاتها ولو على حساب باقي الموجودات والكائنات. وقد أصبحت حماية البيئة مشكلة حضارية تمثل التحدي الأكبر أمام انسان اليوم، إذ ليس بالأمر السهل انجاز هذه المهمة لكون المشكلات البيئية هي بالأساس مشكلات في الوعي والسلوك الإنساني والتي ترجع الى فكرة أن الانسان هو مركز الطبيعة وأنه سيد عليها. أفرز هذا الامر سلسلة من الأزمات الايكولوجية وتولدت جملة من الضغوطات التي يؤثر بها النشاط البشري على البيئة.

ولم تصبح الأرض قادرة على تحمل التطور الذي نتج عن الحضارة الصناعية والتي أسفرت العديد من المشاكل البيئية، وأصبح الانسان يعيش وسط أزمة وبات في حاجة ماسة الى القاء نظرة فاحصة ومعقدة على هذه المشاكل على مدى العقود الزمنية القادمة. ولعل الفلسفة الايكولوجية احدى السبل أو الطرق التي جاءت لحماية الطبيعة من النشاط البشري، وحاولت تخفيف أزمة ومسائرتها. فما هي الفلسفة الايكولوجية؟ وكيف ساهمت في ذلك؟

2. ماهية فلسفة البيئة:

1.2 في معنى الايكولوجيا Ecology:

نجد أن الحديث عن البيئة قديم قدم التفكير الإنساني نظرا لإدراك العلماء والمتفلسفة السابقين أهميتها، الا أن هذه الأهمية ازدادت مع تقدم الوعي الإنساني بقيمة الوسط البيئي الذي نعيش فيه وبالتالي ضرورة المحافظة عليه من خلال المحافظة على علاقتنا التي تربطنا مع بقية الكائنات الأخرى التي تقاسمنا العيش في هذا الوسط، لذا قبل ان نتعمق في المشكلات الفلسفية التي طرحتها الفلسفة الايكولوجية الراهنة خصوصا ما تعلق منها بفكرة التمرکز البشري وكذا محاولة التأسيس لفلسفة أخلاقية بيئة جديدة التي تنظر لعلاقة الانسان ببيئته وغيرها من المسائل الأخرى، نحاول ضبط دلالة مصطلح الايكولوجيا التي نعتبرها مقاربة مفهومية لا تسعى الى تكرار بداهات سائدة وانما هي قراءة افتتاحية تبرر الحديث عن رهن السؤال الفلسفي حول البيئة وعلاقة الانسان بها.

ان كلمة البيئة من المصطلحات الشائعة وهي كثيرة الاستعمال في الحياة اليومية لكونها ترتبط بمجالات متعددة، وهي المكان الذي يحيا فيه الكائنات الحية بحيث تؤثر وتتأثر فيه وتتفاعل معه أي أن تعريفها لا يقف فقط (عند حد الطبيعة الإلهية للكون، بما ينطوي عليه من ظواهر طبيعية لا دخل للإنسان فيها، بل يمتد هذا المفهوم ليشمل المحيط الحيوي والاجتماعي والثقافي للإنسان،

باعتباره كائنا وجوديا فاعلا ومتفاعلا مع العالم¹ لكن على الرغم من تنوع المجالات والميادين التي يمكن للبيئة أن ترتبط بها إلا أن المجال المعروف عنه أنه الأكثر ارتباطا بالبيئة هو البيئة الخارجية أو ما يعرف بالوسط البيئي الجغرافي الذي يعيش فيه الإنسان مع بقية الكائنات الحية. فمصطلح البيئة حسب (معاجم اللغة العربية "مشتق من "بوا" وهي المكان أو المحيط أو المنزل المستقر فيه، والذي يعيش فيه الكائن الحي)². وحسب المعجم الفلسفي لجميل صليبا تعرف (المنزل والحالة، وتطلق في الاصطلاح على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد، والمؤثرة فيه. وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة ما هما اطاران محيطان بالظواهر الطبيعية)³. أما مفهوم البيئة حسب موسوعة لاند فتعني (محيط طبيعي، بيئة اجتماعية، وسط فكري "بيئة داخلية" تقال على جسم عضوي، منظورا اليه من زاوية علاقته بالعناصر الخلوية التي تعيش فيها. بهذا المعنى، تقال على جسم عضوي، منظورا اليه من زاوية علاقته بالعناصر الخلوية التي يعيش فيها، تقال كلمة وسط حتى على الزمان والمكان)⁴.

كما تعني البيئة مجموعة العناصر الطبيعية والاصطناعية التي تحيط بالكائنات والتي تحدد إطار حياتها، أي هي العلم الذي يدرس علاقات البشر مع مختلف الأوساط الأرضية وهي بذلك تشكل جزءا مهما من علم البيئة، أو العلم المخصص للعلاقات بين الكائنات الحية فيما بينها، ولعلاقاتها مع محيطها⁵ لذلك نحاول التعرّيج على علم البيئة باعتباره يحتل حيزا هاما بين العلوم الأساسية والتطبيقية، والذي يعرف في اللغة اللاتينية بـ **Oecologie** (ايكولوجيا) وهو أحد العلوم الطبيعية وبالتحديد أحد فروع علوم الأحياء الذي يدرس علاقة الكائنات الحية والتفاعلات بينها، من نبات وحيوان وكائنات دقيقة مع بعضها البعض ومع عوامل الطبيعة غير الحية كالماء والهواء والفضاء والترية والمعادن ومصادر الطاقة. فالحديث عن علم البيئة يجعلنا لا نفرق بين معنى علم البيئة والايكولوجيا بل الأمر أن علم البيئة مرادف لعلم الايكولوجي وهذا ما تتفق فيه المعاجم الفرنسية والانجليزية وحتى في اللغة العربية، فالأيكولوجيا أو علم البيئة **Ecology** هو (الدراسة التي تختص بعلاقة النبات والحيوان والإنسان وعلاقتهم ببعضهم البعض وعلاقتهم بالمحيط المتواجدين فيه)⁶. والمصطلح مشتق من الأصل الاغريقي "أوكوس" والذي يعني ما يحيط بالشئ ويصبح مكانا لمعيشته، أما "لوجيا" هي العلم أو الدراسة أو المنطق أو القانون وبالتالي هي دراسة التفاعلات بين الكائنات الحية ومحيطها "علم المسكن" أو "علم شروط الحياة"، كما تعرف الايكولوجيا بأنها ذلك العلم الذي يدرس العلاقات التبادلية بين الكائن الحي والبيئة المحيطة به)⁷.

ويمكن القول بأن هذا العلم حديث النشأة وقد استخدمه العالم البيولوجي الألماني ارنست هيكل **Ernest Haeckl** (1834-1919) لأول مرة في كتابه "تاريخ الخلق" ونشره عام 1876 وقصد به منزل الأسرة، حيث اشتقه هيكل من الكلمة الاغريقية ووضعها بدافع من تأثره المباشر بنظرية النشوء والتطور التي وضعها تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع" في عام 1859 والذي يمكن القول بأنه

الأساس العلمي الأول عن الايكولوجيا⁸ وقد كان هذا المصطلح فرع من فروع البيولوجيا العضوية* لكن في عام 1909 استعمل عالم البيولوجيا البلطقي جاكوب فون يوكسكل **Jakob Von Uexkull** مصطلح البيئة ليدل على الشروط المادية المحيطة بالكائن الحي، ومن هنا أصبحت الايكولوجيا العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الكائن الحي وبيئته⁹. وقد تم تقديم تعريف دقيق لهذا العلم لتفادي وقوع في الخلط بينه وبين بقية الفروع العلمية الأخرى التي تدرس الكائن الحي والبيئة من مختلف الجوانب لتصبح تعريفها هو ذلك (المجتمع من الكائنات الحية وبيئتها المحيطة بحيث يتفاعلان كوحدة متكاملة)¹⁰ وبالتالي أصبح ينظر الى الايكولوجيا على أنها (العلم الذي يدرس المنظومات البيئية)¹¹.

ومؤخرا تم إضافة هذا الفرع الجديد الى اهتمامات التفكير الفلسفي وأطلق عليه بمصطلح فلسفة البيئة أو الفلسفة البيئية وهذا يؤكد مدى ارتباط الحكمة بالبيئة ويؤكد كذلك العلاقة التواصلية بينهما لكون أن الحكمة لا بد لها من بيت يؤوها ولا بد لمحبا أن يفكر كيف يرعى هذا البيت ويعمل على حمايته حيث يساهم في نشر التربية والوعي بضرورة حمايتها والرفق بها، وقد ارتبط ظهور الفلسفة البيئية بظهور مجموعة من (المشكلات العالمية في الستينات والسبعينات من القرن العشرين. وحقيقة الأمر ليست المشكلات نفسها هي السبب، بل كان هنالك وعيا عالميا حاول بشق الطرق مواجهة تلك المشكلات)¹²، بالتالي يصبح علم البيئة هو الدراسة العلمية لتوزع وتلاؤم الكائنات الحية مع بيئتها المحيطة أي هو اتجاه علمي يضم عدة ميادين ويدرس قوانين العلاقة بين العضويات (النباتات والحيوانات والانسان) بعضها ببعض وبينها وبيئتها.

نجد أن الايكولوجيا تنظر الى المشكلات البيئية على أنها نتاج خلل في العلاقات ضمن النطاق البيئي ومنظوماته نجم عن ازدياد الضغط على البيئة ويقر أغلب العلماء ان الانسان هو مشكلة البيئة¹³.

يتفق الدارسون والمتخصصين في قضايا البيئة ومشكلاتها على أن الانسان ذاته هو مشكلة بالنسبة للبيئة بل أخطر المشكلات البيئية هي المشكلة السكانية بحيث أن النمو المتعاظم لعدد السكان يمثل المشكلة الرئيسية للبيئة بالتالي يحدث آثار مدمرة فيها، كما أن أي مشكلة بيئية أخرى يتناسب بلا أي شك مع حجم الزيادة في عدد السكان¹⁴، مما أدى ذلك الى استناد الحركات البيئية الى معطيات الايكولوجيا ودعت الى اتخاذ الإجراءات وإصدار القوانين التي تحد وتمنع ممارسات سلوكيات التي تلحق الضرر والأذى بالبيئة ومع تفاقم هذه المشكلات وتحولها الى أزمة عالمية شاملة واتجه المفكرون نحو التفكير في البحث في أسباب وجذور هذه الأزمة باستنادهم الى معطيات الايكولوجيا شرعوا يدرسون العلاقة بين الانسان والبيئة موجهين نظرهم الى القيم والأفكار التي تتبع منها الممارسات التي جعلت الانسان يسير في طريق يخرب فيه منزله الأرضي ومحتوياته مما أدى الى ظهور علم البيئة كحاجة موضوعية لبحث في أحوال البيئة الطبيعية أو مجموعات النباتات أو الحيوانات التي يعيش فيها وبين

الكائنات الحية الموجودة في هذه البيئة. ومع هذا زاد الاهتمام بهذا العلم لتلد بذلك مصطلحات ومفاهيم جديدة وعرف علم البيئة على أنه العلم الذي يبحث ويدرس قوانين وسنن الأعمال والنشاطات التي تقوم بها الكائنات الحية أثناء حياتها في الوسط الطبيعي الموجود فيه وكذا التغييرات التي يحدثها الإنسان في هذا الوسط¹⁵ وفي ظل هذه التطورات نشأت تيارات عديدة في الفكر الايكولوجي مثل: الايكولوجيا العميقة والايكولوجيا الاجتماعية والنسوية الايكولوجية وعلم النفس الايكولوجي والفلسفة الايكولوجية... وغيرها.

2.2 الفلسفة الايكولوجية:

إذا كان هدف علم البيئة هو المحافظة على التوازن البيئي، فان الفلسفة الايكولوجية تراعي الجوانب الأخلاقية والحقوقية في العلاقات بين الإنسان ومحيطه البيئي، من ناحية التأكيد على أنه مثلاً للإنسان حق في العيش في البيئة والاستفادة منها في توفير متطلبات حياته، فان لبقية الكائنات الأخرى كذلك الحقوق ذاتها. تعرف فلسفة البيئة أو الفلسفة الايكولوجية على أنها (فرع من فروع الفلسفة يهدف الى دراسة البيئة الطبيعية والمكان وعلاقته بالإنسان. وتشمل الفلسفة البيئية الأخلاقيات البيئية وعلم الجمال البيئي والايكولوجيا النسوية، كما تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية برؤية فلسفية)¹⁶، وقد ظهرت هذه الدراسة الفلسفية للبيئة والوسط البيئي للإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين والذي تزامن مع ظهور البوادر الأولى للأزمة البيئية العالمية والتي ارتفعت حدتها اليوم بشكل خطير وجدي ولا تزال الأزمة البيئية في تصاعد خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين.

وقد صاغ هذا المصطلح الفيلسوف والمحلل النفسي الفرنسي فيليكس غوتاري (1930-1992) والأب الرويحي للإيكولوجيا العميقة آرني نيس (1912-2009) في عام 1973 مؤسس علم البيئة العميقة في مقالته واعتبرها نوع من الفلسفة البيئية ويقصد بفلسفة الانسجام مع الطبيعة أو التوازن البيئي. في وقت لاحق، قدم الفرنسي فيليكس غوتاري (Félix Guattari Ecosophy) هو أيضاً فيلسوف والذي أعطاه حقاً محتوى معرفياً، معرفاً متعدد التخصصات وتكاملياً، حيث لا يتم النظر في نظرية فلسفية معينة، ولكن من بين أمور أخرى، يسعى إلى المصالحة بين المعرفة المختلفة، القائمة على الإنسانية غير البشرية، والبحث عن التكامل العضوي في المستوى النفسي والاجتماعي للإنسان كجزء من المحيط الحيوي في توازن متناغم. لن يكون الانضباط على الانسحاب من الداخل، ولا التجديد البسيط للأشكال القديمة من "التشدد". بدلاً من ذلك، ستكون حركة متعددة الأوجه تؤسس كلاً من المثاليات والأجهزة التحليلية ومنتجي الذاتية¹⁷.

ويرى Guattari أن المنظورات البيئية التقليدية تحجب تعقيد العلاقة بين البشر وبيئتهم الطبيعية من خلال الحفاظ على الفصل الثنائي للأنظمة البشرية (الثقافية) وغير البشرية (الطبيعية)

إنه يتصور الفلسفة كحقل جديد مع منهج أحادي وتعددٍ لمثل هذه الدراسة. علم البيئة بالمعنى الغواتي، إذن، هو دراسة للظواهر المعقدة، بما في ذلك الذاتية البشرية، والبيئة، والعلاقات الاجتماعية، وكلها مترابطة بشكل وثيق. على الرغم من هذا التركيز على الترابط، خلال كتاباته الفردية وتعاونه الأكثر شهرة مع جيل ديلوز، قاوم غوتاري الدعوات إلى الشمولية، مفضلاً التركيز على عدم التجانس والاختلاف، بدون تعديلات على البيئة الاجتماعية والمادية، لن يكون هناك تغيير في العقلية. نحن هنا في وجود دائرة تقودني إلى افتراض ضرورة تأسيس "بيئة" من شأنها أن تربط البيئة البيئية بالأيكولوجيا الاجتماعية الأيكولوجيا الذهنية. ليصبح مفهوم غوتاري حول النظم الأيكولوجية الثلاثة المتفاعلة والمترابطة للعقل والمجتمع والبيئة ينبع من الخطوط العريضة للأيكولوجيات الثلاثة المقدمة في كتاب "خطوات إلى بيئة العقل" والتي هي مجموعة من الكتابات التي كتبها عالم الفضاءات غريغوري بيتسون¹⁸.

في حين تدعو الفلسفة الأيكولوجية عند هنريك سكوليموفسكي إلى انسية أيكولوجية يكون عمادها القيم، قيم اجلال الحياة والانسجام والتناغم مع الطبيعة، أي أن الفلسفة الأيكولوجية هي الفلسفة كما يجب أن تكون فلسفة ذات معنى لازمة واهم ما يميز خطابها هو نزعتها النقدية الجذرية التي تشغل بتقديم الأدوات المفهومية والمعرفية للكشف عن حقيقة البيئة وقضاياها ومشكلاتها. ومعنى ذلك هو أن الخطاب الأيكولوجي يعمل على تهيئة الأطر النظرية والعلمية التي تفيد بفهم الأزمة البيئية وانعكاساتها العامة على كل مكونات الوجود، والكفيلة بمراجعة فكرية للنظرة الحديثة إلى العالم والتي نشأت في الغرب الأوروبي وامتدت تأثيراتها إلى بقية أنحاء العالم وشكلت في الوقت نفسه نواة الحضارة الحديثة والمعاصرة، وأنماط الحياة والاجتماع والتمدن التي نشرها في العالم.

وتتجلى الرؤية الأيكولوجية للبشرية وتعتبرها جزء لا يتجزأ من سيرورة التطور التي تمضي بالكون قدماً من المادة الجامدة إلى الحياة إلى الوعي ... كما تروم الفلسفة الأيكولوجية اعتماداً على (الآلية النقدية التجاوزية بغية تأسيس مشروع إنساني جديد يقوم اعطاب الحداثة ويعيد ترتيب وضع الإنسان في الطبيعة ودوره فيها والذي يعتبر مشروع يغيب المركزية البشرية أو أفضلية الإنسان وأسبقيته على كل الكائنات. كما تجدر الإشارة إلى إن الفكر الأيكولوجي المعاصر مؤثت بالعديد من النظريات على الرغم من اختلافاتها فإنها تلتقي في الدفاع عن تفسير ثقافي وأخلاقي للأسباب الكامنة وراء التدهور الشامل للمحيط البيئي)¹⁹.

ويعتبر أرسطو أول من أكد على أن الطبيعة مصدر منفعة للإنسان وهو تصور كرس أولوية الإنسان على الطبيعة وفتح أمامه إمكانية واسعة لاستغلالها وهذا الموقف الأرسطي عرف استمراراً بل تطويراً في العصر الحديث، تحديداً مع الفلسفة الديكارتية حيث رأى ديكارت أن الإنسان سيد الطبيعة وهذا من خلال إعطائه الأولوية للفكر على الطبيعة واحتقاره للكائنات الأخرى. في حين أن الفلسفة المعاصرة والراهنة تحول رافق ظهور الآثار السلبية الكثيرة التي ترتبت عن استغلال الإنسان

للبيئة ولللكائنات الأخرى. وأضفى هذا الوضع الجديد إعادة التساؤل حول أهمية البيئة وضرورة تدخل الإنسان لحمايتها من الإنسان ذاته. لذا سنحاول التعمق أكثر في دفاع الفلسفة الأيكولوجية عن البيئة ضد الإنسان.

3. دور الأيكولوجية في دفاع عن البيئة:

1.3 الرؤية الأيكولوجية للإنسان:

نجد ان للفلسفة الأيكولوجية (خمس مبادئ أساسية: العالم حرم، اجلال الحياة هو قيمتنا المرشدة، الوفر شرط مسبق للسعادة الداخلية، الروحانية والعقلانية لا يستبعد أي منهما الأخرى، بل تتكاملان، من أجل أن نشفي الكوكب يجب أن نشفي أنفسنا)²⁰، كما يقوم هذا المذهب الإنساني الأيكولوجي على المصادر المعكوسة لفكرة تسخير الطبيعة لأهداف الإنسان وحاجاته التي قبل بها ماركس والذي يدعو فيها الى تسخير الإنسان للطبيعة بحيث يحب علينا أن نرى الإنسان كجزء من مخطط أوسع للأشياء، كجزء من الطبيعة ومن الكوسموس. وبدأت تتعالى الأصوات مؤخرا بحجم الخطر الذي ألحقه الإنسان بالبيئة وذلك لأنه وضع نفسه مركزا لها فاعتقد نفسه سيدا عليها يمكنه استغلالها كما يشاء وبالتالي لم يدرك أن الحفاظ على البيئة هو الحفاظ على حياته.

ومن الطبيعي ان تصب الفلسفة اعينها على البيئة وتولي اهتمام بها لكونها نابعة من الفيلسوف، وباعتبار هذا الأخير يعيش واقعه ويشعر بوجوده ويعي ويتأثر بما يجري من حوله فعلى مر الزمن نجد أن هدف كان الفلاسفة (نقل مشكلات البيئة الى الفلسفة، وجعلوا تلك المشكلات في قلب اهتمامهم. وقد تسبب النقاش الفلسفي حول البيئة في انقلاب فلسفي كبير، وثورة كوبرنيكية من نوع جديد: لم يعد الإنسان هو المركز بل الطبيعة والحياة وبعبارة أخرى، تخلى الفلاسفة عن التمرکز حول الإنسان، الذي هيمن على الفكر الغربي لفترة طويلة، وتجنّدوا للدفاع عن البيئة)²¹، مما أدى هذا الى محاولة تحقيق مشروع فكري الذي يتعلق بالأبعاد الوجودية للإنسان فوق الأرض من زاوية العلاقة مع الطبيعة بحثا عن فلسفة بيئية والتي مفادها ان الإنسان كائن طبيعي صرف وينبغي أن يستوعب ويؤطر ضمن رؤية طبيعية محضة. يذهب بول ريكور **Paul Ricoeur** الى مخالفة أطروحة جون ماري شيفر²² **Schaeffer Jean Marie** مفاده أن الإنسان جزء من الطبيعة وينبغي وضعه داخل النسق البيئي الكوني الذي تشكل في اطاره، وما نفهمه من خلاله أن الإنسان يعتبر الشق الوحيد في المنظومة الكونية المتميز بالمعرفة والمسؤولية. لذلك يدعو ريكور الى الموازنة بين الإحساس بالانتماء الى الطبيعة وبين الإحساس بالاستثناء داخلها. وهنا يذكرنا بما قام به هيدغر في هذا السياق الذي نظر لفكرة الافراط في الاستثناء الإنساني كما لو كان الإنسان متميزا كلية عن الطبيعة فينتج عنه ظهور الإنسان على مسرح الكون كمركز لكرنفال من تنظيمه هو، وتديره لورش من الأشياء الجامدة.

ان الحفاظ على الطبيعة يتأطر فلسفيا ضمن مشروع فلسفي ومقتضي ذلك حسب ريكور هو ضرورة القيام بنقد العقل الأداتي انطلاقا من الاخلاق التواصلية المنبثقة فلسفيا عن أخلاقية الانتماء، ولعل هيدغر من بين اول المبشرين بالمشكلات الناتجة عن التعامل السلبي مع الطبيعة²³، وقد خصص أجزاء كثيرة من مؤلفاته لمعالجتها منها كتابه التقنية والحقيقة والوجود والفلسفة في مواجهة العلم والتقنية. ويحاول من خلالها أن يلقي الضوء على طريقة القهر والاجبار التي يتعامل بها العلم الغربي مع الطبيعة وكأنها (مستودع مطروح للاستهلاك اذ يقول في هذا الصدد: ان الفيزياء تجبر الطبيعة على أن تظهر نفسها كمركب قوى قابل للحساب والتنبؤ وهو ما يجعل التجريب مسخرا لمسائلها واستنطاقها)²⁴، وهنا نبه هيدغر الانسان المعاصر الى خطورة أنشطة الصناعية معتبرا أن الانسان بصدد تدمير وطنه، مادام أن العقل الصناعي التقني يتعامل مع الطبيعة كموضوعات قابلة للاستغلال لان هذا الامر يعتبر عاقبة مشؤومة لكون العلم الغربي نعى في بلاد الغرب وفي حقبة تاريخية اصبح (قوة لا نلقاها في أي مكان على الأرض، انه أخيرا ينشر سلطانه على الأرض برمتها)²⁵، أي أن الطبيعة هي جسد الانسان الحقيقي وما جسده الا امتداد فيزيائي لجسد الطبيعة وهي ليست مجرد عالم يتموقع خارج وعي الذات وخارج جغرافية الجسد.

وما يمكننا قوله من خلال فلسفة هيدغر والتي تعتبر رائدة في التنبيه الى خطر التقنية على الطبيعة حيث اشتغل بمعرفة أين يفرض الفصل المثالي بين الذاتية الإنسانية والطبيعة وأين وكيف يتم تجاوزه. وبالتالي السبيل الوحيد لتجاوز أزمنا البيئية الحالية لابد ان نهجر التصورات المفتقرة عن الطبيعة التي أورثنا إياها التراث الغربي لننتقل الى صياغة أغنى فلاحتياج الحديث للطبيعة كما يرى هيدغر هو نتيجة لسيطرة الفهم التكنولوجي الحديث للعالم الذي يرى فيه ذروة التراث الميتافيزيقي الغربي²⁶.

وفي الأخير نستخلص أنه من بين مهام الفكر الايكولوجي هو اقناع العقل الصناعي بضرورة التخلي عن وهم المنفعة الإنسانية، فأى منفعة لا يستفيد منها الانسان والطبيعة في نفس الوقت ليست بمنفعة بل هي مفسدة عظيمة، والمنفعة الوحيدة الممكنة هي منفعة الانسان لأنه أسعى كائن فهو يتميز بالعقل والروح والوعي ومن تم يجوز له البحث عن منفعته حتى في الحالات التي تتعارض منفعته مع منفعة البيئة وكثيرة هي النظريات الفلسفية التي أمنت بهذه الفكرة. فلطالما اعتبر الفلاسفة ورجال الدين أن الطبيعة قد خلقت من أجل الانسان وبالتالي فهي ليس غاية في ذاتها، (فالأشياء الطبيعية ليست موجودات من أجل ذاتها بل هي موجودات من أجل الانسان. فالطبيعة لا تعني ذاتها الا عندما يستعملها الانسان، فحضورنا للعالم هو الذي يوقظه من نومه)²⁷ لان الطبيعة لا تعني ذاتها الا عندما يستعملها الانسان.

4. خاتمة:

مما تقدم يمكن القول بأن، للحضارة الايكولوجية تكوين ثقافي ومبادئ أخلاقية تهدف الى تحقيق التناغم بين البشر وبين الانسان والطبيعة وبين الانسان والمجتمع من أجل تحقيق تنمية شاملة وازدهار متواصل لكل البشر، لذا ينبغي ان نحرص على الدعوة لمحاولة تربية جيل ايكولوجي وتوعيته بأن الطبيعة جزء لا يتجزأ من هويته الشخصية وهكذا يكون الدفاع عن الطبيعة بالنسبة اليه بمثابة الدفاع عن الهوية.

كما أن الحقل الفلسفي مرتبط بعلاقة الانسان بمحيطه البيئي والذي ينطوي على نموذج ارشادي معرفي جديد يسعى لإيجاد أرضية مشتركة بين النماذج المعرفية البيئية والمواقف الأخلاقية المتعلقة بالطبيعة والذي يشكل بداية الطريق في أفق الانخراط الفلسفي في قضايا البيئة والأنساق الطبيعية وهو ما نجده بشكل مطلباً حضارياً كبيراً. فالفلسفة الايكولوجية فلسفة ثورية بامتياز لكونها تسعى الى تحقيق خطاب ايكولوجي عميق كفيل بتغيير القيم الاجتماعية وبلورة ثقافة بديلة تبني نموذج التنمية المستدامة لمراعاة حقوق الأجيال القادمة دون افراط أو تفريط في الحق الإنساني أو الحق الطبيعي.

5. قائمة المراجع:

- ¹ عباس، رواية، عبد المنعم، رسالة من الفلسفة الى الحياة، دار الوفاء، (ط1)، القاهرة، 2013، ص200.
- ² محسن محمد، أمين، قادر، (التربية والوعي البيئي وأثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي)، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد الأكاديمية العربية في البفارك، 2009، ص16.
- ³ صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (ج1)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982، ص211.
- ⁴ اللاند، أندريه، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، Oxford Advanced Learners، (ط2)، 2001، ص806.
- ⁵ أنظر، قاضي، جورج، تهديدات البيئة، منشورات عويدات، بيروت، 2008، ص46.
- ⁶ Dictionnaire Hachette, Paris, ed 2009, p511.
- ⁷ Kumar, H.D, Modern Concepts of Ecology, Vikas Publisher House, New Delhi, 2nd ed, 1981, p.1.
- ⁸ أنظر، سليمان، محمود، الجغرافيا والبيئة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص8.
- ⁹ أنظر، أرنست، ماير، هذا هو علم البيولوجيا، ترجمة: عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، 1997، ص23.
- ¹⁰ Kumar, H.D, Modern Concepts of Ecology, op. cit, p.2.
- ¹¹ Ibid, p.3.
- ¹² عباس، كرم، المحاضرات الخامسة والسادسة من علم الايكولوجيا الى فلسفة البيئة، ص1.
- ¹³ أنظر، الحمد، رشيد، وصبارني، محمد سعيد، البيئة ومشكلاتها، سلسلة عالم المعرفة، الفصل "الانسان مشكلة البيئة"، العدد 22، (ط2)، الكويت، 1984، ص76-78.
- ¹⁴ أنظر، المرجع نفسه، ص111.
- ¹⁵ سليمان، محمود، عيس، ناظم، البيئة والتلوث، جامعة دمشق، 1999، 2000، ص18.
- ¹⁶ Desrosiers Yvon, « Une controverse récente sur les rapports entre philosophie de la nature et sciences de la nature », Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, Tome 63, no 79, 965 ; p. 419-420.
- ¹⁷ الحكمة الايكولوجية، بيئة فلسفة المجتمع، على الرابط:

<https://www.hisour.com/ar/ecosophy-49356/> (consulté le 28/07/2021)

¹⁸الموقع نفسه.

¹⁹ François Blais et Marcel Fillion. D'éthique environnementale à l'écologie politique. Apories et limites de l'éthique environnementale. Philosophiques Vol : 28, N2, 2001, P255.

²⁰سكولوفسكي، هنريك، ماهي الفلسفة الايكولوجية؟ بعض المبادئ المؤسسة، ترجمة: معين رومييه، على موقع معابر:

<https://www.maaber.com> (consulte le 23 / 06/ 2021)

²¹مفرج، جمال، الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الإخفاقات، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط1)، 2009، ص35

²² Jean Marie Schaeffer, la fin de l'exception humaine, Gallimard.2007.p123.

²³أنظر، نسيم، وجدي، خيري، الفلسفة وقضايا البيئة اخلاق المسؤولية، تقديم: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط1)، 2009، ص73.

²⁴هيدغر، مارتن، التقنية، الحقيقة، الوجود، ترجمة: محمد سببلا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص65.

²⁵هيدغر، مارتن، الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، ترجمة: فاطمة الجبوشي، وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص97.

²⁶ Zakaria Rhani, l'humanisme à l'ère technologique : vers une éthique Heideggérienne de la parole et de la technique. Altérités ; Vol : 5, 2008.P.84-87.

²⁷أكرام، فهمي، أثر التقدم العلمي على الانسان والبيئة في العصر الحديث، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، العدد 26، 2009، ص452 .